الرواية

مجلة أسبوعية للقصص والتاريخ

تصدر مؤقتاً فى أول كل شهر وفى نصف

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة

ص	
٣٠	فى مصر والسودان
٥٠	فى الممالك الأخرى
١	ثمن العدد الواحد

الادارة

دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠

العدد ٦٣ — ١٧ رجب سنة ١٣٥٨ — أول سبتمبر سنة ١٩٣٩ — السنة الثالثة

فهرس العدد

صفحة			
٨٤٢	الرهان	للقصصى الروسى أنطون تشيكوف	بقلم الأستاذ سعد حسين سعد
٨٤٧	الورقة المهلكة	أقصوصة مصرية	بقلم الأستاذ نجيب محفوظ ...
٨٥٣	تزوجت جاسوسا	عن الانجليزية	بقلم الأستاذ عبد الحميد حمدي ...
٨٦٥	موت الدوقين	للكاتب الفرنسى ألفونس دوديه	بقلم الأديب محمد عبد الفتاح محمد
٨٦٧	قصاص	أقصوصة مصرية	بقلم الأديب السيد محمد الزاوى
٨٧٤	فى طريق الغرام	أقصوصة عراقية	بقلم الأديب السيد قاسم محمد ...
٨٨٨	العزيزة	للقصصى الروسى أنطون تشيكوف	بقلم الأستاذ حنفى محمود جمعة ...

الرهان

للكاتب الروسى أنطون تشيكوف

بقلم الأستاذ سعد حسين سعد

فى إحدى ليالى الخريف المظلمة كان المول العجوز يذرع حجرة مكتبه من ركن إلى آخر، وهو يستعيد فى ذهنه ذكرى المأدبة التى أقامها فى الخريف لخمسة عشر عاماً خلت. كانت المأدبة تضم كثيراً من نوابغ القوم تدور بينهم أحاديث ممتعة شتى. ومال بهم الحديث إلى الكلام عن عقوبة الإعدام، فلم يقرها أكثر الضيفان، وكان بينهم غير قليل من الأدباء والصحافيين، واعتدوها عقوبة باطلة همجية لا تليق بدولة مسيحية. ورأى بعضهم أن هذه العقوبة يجب إبدالها فى جميع أنحاء العالم بالسجن المؤبد.

فقال المضيف: «أنا أخالفكم فى هذا الرأى. ولو أنه لم يسبق أن حكم علىّ بالإعدام أو بالسجن المؤبد، ففى اعتقادى أن عقوبة الإعدام أرق وأرحم من السجن. فالإعدام يقتل فوراً، أما السجن المؤبد فيقتل تدريجياً. فأى الجلادين أرحم: الذى يقتل فى ثوان معدودة، أم الذى يستل الحياة على الدوام فى عدة سنين؟»

فأجاب أحد الضيفان: «كلاهما متوحش، لأن غرضهما واحد وهو انتزاع الحياة. إن الدولة ليست الله. وليس لها الحق فى انتزاع مالا يمكنها استرداده عندما تشاء»

وكان فى الرفقة محام شاب يناهز الخامسة والعشرين، فلما سئل رأيه قال: «الإعدام والسجن المؤبد كلاهما عمل همجى. لكن إذا خيرت بين أحدهما فلا شك أنى أختار الثانى. فلأن تعيش على وجه ما خير من ألا تعيش قط»

ثم احتدمت المناقشة، وكان المول يومئذ أصغر سناً وأحد مزاجاً، فخرج عن طوره فجأة وجعل يضرب المنضدة فى عنف بقبضة يده ثم اتجه للمحامى الشاب صائحاً: «أنت تكذب. وإنى أراهنك بمليونين إن استطعت أن تلزم حبساً ولو لمدة خمسة أعوام»

فأجاب المحامى: «إذا كنت جاداً فيما تقول فإنى أراهن أن أمكث فيه لا أعواماً فقط، ولكن خمسة عشر عاماً»

فصاح المول: «خمسة عشر! فليكن! أيها السادة إنى أراهن بمليونين»

فقال المحامى: «موافق. أنت تراهن بمليونين وأنا أراهن بحريتى»

وهكذا جرى هذا الرهان الوحشى المضحك. واستطير المول فرحاً، إذ كان فى ذلك الوقت يملك ملايين كثيرة، وكان متلافاً ذا بدوات وأهواء.

قال للمحامى أثناء العشاء مازحاً: «تدبر الأمر ملياً أيها الشاب قبل فوات الوقت. إن مليونين لا قيمة لها عندى، ولكنك ستخسر ثلاثة أو أربعة

أعوام من أحسن سنى عمرك . أقول ثلاثة أو أربعة أعوام لأنك لن تستطيع الاحتيال على نفسك أكثر من ذلك . ولا تنس – أيها التعس – أن السجن الاختيارى أبهظ على النفس من الإجبارى ، لأن الاعتقاد بأنك فى حل من إخلاء نفسك فى أى وقت يسمم كل حياتك فى الحبس . إنى أرثى لك »

تذكر المول كل هذا وهو يروح ويجيء من ركن إلى آخر ثم تساءل : « لم أجريت هذا الرهان ؟ ما الفائدة ؟ المحامى يضيع خمسة عشر عاماً من حياته وأنا ألقى بمليونين سدى ... هل هذا سيقنع الناس أن عقوبة الإعدام شر أو خير من السجن مدى الحياة ؟ كلا . كلا ! كله عبث وهراء ، كان من جانبى هوى رجل أبشمه الثراء ، ومن جانب المحامى شدة شراهة للذهب »

وتذكر غير ذلك مما حدث بعد المأدبة . فقد تقرر أن يقضى المحامى مدة السجن تحت أدق مراقبة فى جناح من حديقة منزل المول . واتفق أن يحرم على المحامى طيلة المدة ، عبور العتبة ، ورؤية الناس الأحياء ، وسماع الأصوات البشرية ، واستلام الرسائل والصحف . وسمح له باقتناء آلة موسيقية ، وقراءة الكتب ، وكتابة الرسائل ، وشرب النبيذ ، وتدخين التبغ . وتيسر له حسب الاتفاق أن يتصل بالعالم الخارجى ، فى صمت فقط ، خلال نافذة صغيرة أنشئت لهذا الغرض ، كما تسنى له الحصول على كل ما يلزمه من كتب وقطع موسيقية ونبيذ بأى قدر كان ، وذلك بإرسال مذكرة من النافذة . وألم الاتفاق بكافة التفاصيل الدقيقة التى جعلت المحبس فى منتهى العزلة والانقطاع وألزمت المحامى أن يمكث خمس عشرة سنة كاملة من الساعة الثانية عشرة من ليلة ١٤ نوفمبر سنة ١٨٧٠ إلى الساعة الثانية عشرة من ليلة ١٤ نوفمبر سنة ١٨٨٥ ، حتى إذا ما قام بأدنى محاولة لنقض الشروط أو الهرب ولو قبل انتهاء المدة بدقيقتين فقط ، فإنها تعفى المول من دفع المليونين

فى غضون السنة الأولى من الحبس قاسى المحامى — حسب ما أمكن معرفته من مذكراته القصيرة — أهول عذاب من الوحدة والسأم ، وكان يصدر صوت البيانو من جناحه نهاراً وليلاً ، وأقلع عن التبغ والنبيذ ، فقد كتب : « إن النبيذ يثير الشهوات ، والشهوات ألد أعداء السجين . وفوق ذلك فليس هناك ما يضجر أكثر من شرب النبيذ الجيد على انفراد » كما كان التبغ يفسد هواء حجرته . وأرسلت إليه فى السنة الأولى كتب خفيفة سهلة الهضم كالروايات الغرامية وقصص الجرائم والخيال والمهازل وما إليها

وفى السنة الثانية لم يعد يسمع البيانو ، ولم يطلب المحامى سوى كتب الآداب الرفيعة . وفى السنة الخامسة سمعت الموسيقى ثانية وطلب السجين نبيذاً . وقال الذين يراقبونه : إنه طيلة هذا العام لم يكن يعمل إلا أن يأكل ويشرب ويرقد على الفراش . وكان غالباً يتثاءب ويكلم نفسه بغضب ، ولم يعد يقرأ الكتب ؛ وكان أحياناً يجلس فى الليل ليكتب . وقد يكتب زمناً طويلاً وفى الصباح يمزق كل ما كتب . وسمع أكثر من مرة وهو يبكى

وفى النصف الأخير من السنة السادسة ، شرع السجين يدرس بهمة اللغات والفلسفة والتاريخ ، وانكب على هذه المواضيع بنهم حتى أن المول لم يجد الوقت الكافى لتزويده بالكتب اللازمة . وفى مدى أربع سنوات اشترى له بناء

على طلبه زهاء ستمائة كتاب . وفى إبان هذا الحماس وصل المول من السجين الكتاب الآتى « سجانى العزيز ، أكتب إليك هذه السطور بست لغات . فاعرضها على الخبراء ليقرؤوها ؛ فإن لم يعثروا فيها على غلطة واحدة ، أرجو أن تصدر أوامرك بإطلاق بندقية فى الحديقة . وسأعرف على صوتها أن مجهوداتى لم تذهب هباء . إن العبقريات فى كل عصر ومصر تتكلم بألسنة مختلفة ، ولكنها جميعاً تتفق فيها شملة واحدة . أوه ! ليتك تعلم كم أنا سعيد إذ أستطيع فهمها الآن ! »

وحققت رغبة السجين فقد أطلقت فى الحديقة طلقتان بأمر المول .

وبعد السنة العاشرة كان المحامى يجلس دون حراك إلى المنضدة ، ولا يقرأ سوى الإنجيل . واستغرب المول من الرجل أن يقرأ فى أربع سنوات ستمائة مجلد فى كافة العلوم والمعارف ، وبسلخ قرابة عام فى قراءة كتاب واحد سهل الفهم صغير الحجم . ثم خلف الإنجيل بعد ذلك كتب فى اللاهوت ، وتاريخ الأديان .

وفى خلال السنتين الأخيرتين من الحبس كان السجين يقرأ خليطاً عجيباً حسبما اتفق . فتارة ينقطع للعلوم الطبيعية ، وطوراً يقرأ بيرون وشاكسبير ، وفى نفس الوقت كانت ترد منه مذكرات يطلب فيها إما كتاباً فى الكيمياء أو كتاباً فى الطب ، أو رواية ، أو رسالة فى الفلسفة أو اللاهوت . كان يقرأ كأنه يسبح فى بحر بين حطام سفينة غريقة وهو يتعلق بقطعة بعد أخرى محاولاً إنقاذ حياته .

تذكر المول كل هذا ثم قال فى نفسه : « غداً فى الساعة الثانية عشر ليلاً يسترد حريته ، وسألزم بدفع مليونين له تنفيذاً للاتفاق . فإذا دفعت فعلى العفاء . سيقضى علىّ إلى النهاية ... »

منذ خمسة عشر عاماً مضت كان لديه ملايين لا عداد لها ، أما الآن فهو يخشى أن يسأل نفسه أيهما أكثر : نقوده أم ديونه؟ فإن المغامرات فى سوق الأوراق المالية ، والمضاربات المجازفة والتهور الذى لازمه حتى بعد تقدمه فى السن ، كل أولئك سارت بأعماله فى طريق الانحلال والتدهور ، ولم يعد رجل الأعمال الأمين الواثق بنفسه ، المتشامخ ، سوى ممول عادى يرتجف لأى صعود أو هبوط فى السوق

غمغم الرجل العجوز وهو يمسك برأسه فى قنوط : « تباً لهذا الرهان اللعين ، لماذا لم يمت هذا الرجل ؟ إنه لم يزل فى الأربعين من عمره ، وسوف يستولى على آخر دانق أملكه ، فيتزوج وينعم بالحياة ويقامر فى السوق وسأرمقه بنظرة الشحاذ الحسود وأسمع منه نفس هذه الكلمات كل يوم « وأنا مدين لك بسعادة حياتى . دعنى أساعدك . » كلا ، هذا كثير للغاية ! الوسيلة الوحيدة للتخلص من الإفلاس والعار — هى أن يموت هذا الرجل .

وكانت الساعة وقتئذ قد دقت الثالثة صباحاً ، والمول يرهف السمع وقد نام جميع من فى المنزل ، ولم يكن يسمع سوى أنين الأشجار المتجمدة خارج النوافذ ...

أخذ من خزانته وهو يحاذر ألا يحدث صوتاً ، مفتاح ذلك الباب الذى لم يفتح منذ خمسة عشر عاماً

ثم تدثر بمعطفه وخرج من المنزل . كانت الحديقة حالكة الظلمة باردة ، والسماء تمطر ، والريح المحملة تعوى بشدة ولا تدع الأشجار تقر على قرار . ورغماً من أنه أنعم النظر فلم يستطع أن يتبين لا الأرض ولا التماثيل البيضاء ولا جناح الحديقة ولا الأشجار. وعند ما اقترب من جناح الحديقة نادى الحارس مرتين فلم يتلق أى جواب ، فلا ريب أن الحارس قد لجأ إلى مأوى يعصمه من رداءة الطقس وأنه يغط الآن فى النوم فى مكان ما بالمطبخ أو بمكان آخر

ففكر الرجل المجوز : « إذا واتتنى الشجاعة لتحقيق نيتى فستحوم الشبهة حول الحارس أولاً »

وجعل يتحسس فى الظلام درجات السلم والباب حتى دخل بهو جناح الحديقة فأخذ يتلمس طريقه فى ممر ضيق ، ثم أشعل عود ثقاب . لم يكن هناك أحد ، وإنما كان هناك سرير عار من الأغطية وموقد من الحديد مظلم قاتم فى أحد الأركان . وكانت الأختام المطبوعة على الباب الذى يؤدى لحجرة السجين غير مفضوضة

وحينما نفدت أعواد الثقاب تطلع الرجل المجوز خلال النافذة الصغيرة وهو يرعد من القلق

كانت فى حجرة السجين شمعة ترسل ضوءاً خافتاً وكان السجين نفسه جالساً إلى المنضدة لا يرى منه سوى ظهره وشعر رأسه ويديه ، وقد تناثرت كتب مفتوحة فوق المنضدة والمقعدين وعلى البساط القريب من المنضدة

مرت خمس دقائق لم يتحرك السجين خلالها قط فقد علمته الخمس عشرة سنة أن يجلس جلوس الجماد فطرق المجوز النافذة بأصبعه لكن السجين لم يبد أية حركة . وعندئذ فض المجوز أختام الباب فى حذر ثم أولج المفتاح فى القفل الصدئ فخرجت منه أنة مبحوحة وصر الباب . وفى الحال توقع المجوز أن يسمع صرخة فزع ووقع أقدام ، لكن مضت ثلاث دقائق والهدوء شامل الحجرة كما كان من قبل فعقد العزم على الدخول

أمام المنضدة جلس رجل لا يشابه الرجل البشرى العادى فى شىء . كان هيكلاً عظميا مشدود الإهاب ذا شعر طويل معقوص كشعر المرأة ، ولحية كثة . وكان لون بشرته شاحباً تعلوه غبرة ، وخداه غائرين ، وظهره مستطيلاً ضيقاً ، ويده التى أراح فوقها رأسه الشعراء من شدة الهزال والضمور بحيث يبعث منظرها الألم فى النفس ، أو شعره يلتمع فيه بياض المشيب . وكان من المستحيل أن يصدق من ينظر إلى تحافة الشيخوخة البادية على الوجه أن صاحبه لم يزل فى الأربعين من عمره ، وعلى المنضدة ، أمام رأسه المائل ، وضعت رقعة من الورق عليها كتابة بخط دقيق

قال المجوز فى نفسه «يا للشيطان المسكين . إنه نائم ولا يبعد أنه يحلم بالمليونين . ليس على إلا أن آخذ هذا المخلوق نصف الميت وألقى به على الفراش وأكتم أنفاسه لحظة بالوسادة ، ولن يستطيع أدق فحص بعد ذلك أن يستدل على أنه مات ميتة غير طبيعية . لكن لنقرأ أولاً ما كتبه ها هنا »

تناول المجوز الرقعة من على المنضدة وقرأ « غداً فى الثانية عشرة ليلاً سأسترد حريتى وحق فى مخالطة الناس ، ولكن قبل أن أغادر هذه الحجرة وأشاهد الشمس أرى من اللازم أن أقول لك بضع كلمات : إنى أقر لك أمام ضميرى النقى وأمام الله الذى يرانى أنى أحتقر الحرية ، والحياة ، والصحة ، وجميع ما تدعوه كتبك نعم الدنيا

« أمضيت الخمسة عشر عاماً وأنا عاكف على دراسة الحياة الدنيوية . والواقع أننى لم أكن أعرف العالم ولا الناس ، ولكن فى كتبك نهلت سلافاً عطراً ، وشدوت الأغانى ، وصدت الظباء والوحوش فى الغاب ، وعشقت النساء ... وكانت توافينى ليلاً حسان كأنهن سحب أثيرية ، قد أبدعتهن عبقرية شعرائك ، فيهمسن إلىّ بقصص عجيبة تسكر رأسى . فى كتبك صعدت قنى إلبروز ومونت بلان ، ورأيت من ثمة مطلع الشمس فى الصباح ومغربها عند الأصيل وقد خضبت بأرجوان الذهب السماء والبحر ورؤوس الجبال . رأيت من ثمة البرق يخفق فوق ويشق الغمام ؛ رأيت آجاماً خضراء ، وحقولاً غناء ، ومدائن فيحاء ، وأنهاراً دافقة ، وبحيرات خافقة ؛ سمعت غناء الحوريات وترنيم رب الرعاة على المزمار ؛ لمست أجنحة الملائكة الجميلة التى أتتنى طائرة لتحدثنى عن الله ...

« فى كتبك ألقيتُ بنفسى فى هوات سحيقة ، وأتيت بالمعجزات ، وأحرقت مدناً عن آخرها ، ودعوت إلى أديان جديدة ، وأخضعت أقطاراً بأكلها ...

«علمتنى كتبك الحكمة . إن عصارة كل ما أبدعه الفكر الإنسانى خلال الأجيال قد تجمعت فى جمجمتى . وأنا واثق تماماً أنى أكيس وأقدر منكم جميعاً

« بل وإنى أيضاً لأحتقر كتبك وأحتقر جميع النعم الدنيوية والحكمة . كل شىء باطل واه وهمى خادع كالسراب . قد تكون متكبراً حكيماً جميلاً ، ومع ذلك يأتى الموت فيمحوك من على وجه الأرض كالحشرة ولا يبقى من ذريتك وماضيك وعباقرتك الخالدين إلا رماد يختلط بالأرض . أنت مجنون ضللت سواء السبل ، تحسب الزيف صدقاً والقبح حسناً . إنك لتعجب إن تدلت فجأة من الأشجار ضفادع وزواحف بدلاً من الثمار ، وإن فاحت من الورد رائحة حصان عرق مكدود . وهكذا أعجب لك أنا أيضاً أنت الذى بعت الآخرة بالدنيا ، لست أريد أن أفهمك

«ولكى أريك فعلاً مبلغ ازدرائى ما تعيش به ، فإنى متنازل عن المليونين اللذين كنت أحلم بهما قديماً كما أحلم بالجنة ، فأصبحت أحتقرهما الآن . ولكى أجرد نفسى من حقى فيهما ، سأخرج من هنا قبل الموعد المتفق عليه بخمس دقائق وبهذا ينقض الاتفاق »

« فلما أتم الممول قراءة الرقعة وضعها على المنضدة وقبل رأس هذا الرجل الغريب ثم أجهش بالبكاء

خرج من الجناح ولم يشعر فى أى وقت مضى ، حتى عقب خسائره الشنيعة ، بمثل هذا الاحتقار لنفسه . فلما بلغ المنزل تهالك على فراشه ، غير أن اضطرابه ودموعه نفرت عنه النوم مدة طويلة .

وفى صباح اليوم التالى أقبل إليه الحارس يعدو فأخبره أن الرجل الذى يقيم بالجناح شوهد يتسلق النافذة ويهبط منها إلى الحديقة ، ثم ذهب من البوابة واختفى . فتوجه الممول لوقته إلى الجناح مع الخدم وأثبتوا فرار السجين . وتلافياً للتخرصات والإشاعات أخذوا ورقة التنازل من على المنضدة ، وعند عودته أغلق عليها خزانته .

محمد حسين محمد